

النقد في عهد الخلافة الراشدية

الطالب / أحمد نقي

إشراف: أ.د/ عباس محمد

جامعة أبو بكر بلقايد- تلمسان (الجزائر)

ملخص:

لا أحد منا باستطاعته إنكار الأثر العميق الذي أحدثه الإسلام في جميع مجالات الحياة وجوانبها: الدينية، والسياسية، والعقلية، والاجتماعية، والأخلاقية. وكانت الناحية العقلية من الجوانب التي أثر فيها الإسلام تأثيراً بالغاً، ومن بينها الآثار التي أحدثتها في النقد الأدبي واعتماد المقياسين الديني الإسلامي والبياني في نقد الشعر. وإلى ما ينبغي أن يتضمنه هذا الفن من معانٍ وقيم إسلامية، وما يجب أن يكون عليه الأسلوب من سلاسة وسلامة في التعبير، وصدق في القول، وبعد عن التكلف ناهيك عن الموازين التي تميز كل ناقد من موهبة شخصية، ونزعة ذاتية، وذوق فني شخصي.

الكلمات المفتاحية: النقد . الراشدي . أثر الإسلام . البيان .

-No one of us can ignore the deep effect which Islam Caused in all life domains ; spiritual , political , mental , social and ethical.

The mental side was the one that Islam affected the most ,for instance ,its consequences in literary criticism and the use of both islamic religion and graphical in criticizing poetry as well. In addition To what this art should include as Islamic Meanings and values , nice type safety of inter weave , speech sincerity and mannerism remoteness, without talking about the scales that distinguish each Carpathian from personal talent, immanence bereave and personal artistic state.

موقف عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . من الشعر .

صدر الإسلام يطلق على الفترة التي عاشها الرسول . صلى الله عليه وسلم . والخلفاء الراشدين من بعده أي هو تلك الفترة الزمنية التي تبدأ بظهور الدعوة المحمدية إلى غاية تأسيس الدولة الأموية .

في هذه الفترة لم يحظ الأدب شعرا ونثرا بتلك الوثبة التي حظي بها من قبل ومن بعد، ولم يشجع الخلفاء الراشدون على قرض الشعر حتى ينهض ويتطور بتلك الطريقة السائدة سابقا، ولكنهم كانوا على العكس، كانوا يشجعون على حث المسلمين على حفظ القرآن الكريم.¹ وليس معنى هذا يدل على اختفاء الشعر فقد كان يسير على الخطى التي رسمها الرسول - صلى الله عليه وسلم - فهو كان يعلي من قدر هؤلاء الذين قاموا بنصرة المبادئ القويمة، ودافعوا عنها. فأحل الإسلام هؤلاء الشعراء محل اللائق بهم من الشرف، فشجعهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأجزل لهم العطايا لموقفهم واعتبر هذا نوعا من الجهاد في سبيل الله والانتصار للحق. وأحسن ما يدل على ذلك الشاعر المخضرم حسان بن ثابت الأنصاري الذي قره الرسول - صلى الله عليه وسلم - إليه. وليس أدل على احترام الإسلام للشعر عن قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - إليه. "إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة".

لقد حذا الخلفاء الراشدون في نظرهم إلى الشعر حذو الرسول - صلى الله عليه وسلم - وساروا على النهج الذي ارتضاه وسنه - صلى الله عليه وسلم - في نظره إلى الشعر وإلى ما ينبغي أن يتضمنه من معانٍ وقيم إسلامية وما يجب أن يكون عليه الأسلوب من سلاسة وسلامة في التعبير، وصدق في القول وبعد عن التكلف. فميزوا بين شعر وشعر في شكله ومضمونه، يحثون على ما هو مفيد ويعاقبون على ما هو مضر بالاجتماع وبعقيدته وإفساد ذوقه، لهذا قل شعر الهجاء حتى كاد ينعدم وسبب هذا أن الخلفاء كانوا يحذرون منه لمنافاته تعاليم الإسلام إلا ما كان يخدمه. قد ورد في الحديث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لحسان: «اهجهم أو قال: هاجهم وجبريل معك»² ولما نال من الكفار، قال له: "اهجهم - يعني قريشا - فو الله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام، واهجهم ومعك جبريل روح القدس، وألق أبا بكر يعلمك تلك الهنات."³ وعموما فما وافق الحق فهو عندهم مقبول، وما لم يوافقه فهو مردود ومنبوذ كالغزل الإباحي والمجون...

الشعر في عهد الخلافة الراشدية تراجع شأنه ولم يختلف كلية وهناك عوامل قللت من دواعيه:

1. وقف المساجلات الشعرية التي اندلع فتيلها بين شعراء المشركين من قريش وشعراء الإسلام.
2. انشغال الشعراء بالفتوحات الإسلامية بغية نشر الدعوة وتنظيم دولتهم التي اتسعت أرجاؤها... ففضلوا الجهاد في سبيل الله وليس معنى ذلك أنهم كفوا نهائيا عن قول الشعر وإنما سايروا الأحداث بسيوفهم وألسنتهم فقد اهتزت شاعريتهم بالمشاهد الجديدة والانتصارات

العظيمة وانطلقوا يفخرون بشجاعتهم ويتباهون بالنصر ويصفون المعارك وبسالة المجاهدين داخلها...

3. الخوف من عقاب الصحابة المشددين على سلامة الشعر في أفكاره، ومراعاته للذوق والشعور الإنساني.

تلتبس الحركة النقدية في هذه الفترة في مواقف الخلفاء الراشدين من الشعر والشعراء، إلى جانب اهتمامهم باللغة العربية بصفة عامة، غير على صحتها وسلامتها من الأخطاء حفاظاً على القرآن الكريم من الانحراف.

أسهم الخلفاء الراشدون في الحديث عن الشعر ونقده، وقد لمع في هذا المجال الخليفة عمر بن الخطاب. رضي الله عنه. لما تميز به من ذوق فني وموهبة شخصية ونزعة ذاتية ومكانة عالية وثقافة أدبية. قال ابن رشيقي القيرواني عنه: "كان من أنقد أهل زمانه للشعر وأنفذهم فيه معرفة".⁴ عمر بن الخطاب. رضي الله عنه. حفا بالشعر وهام به في جاهليته وإسلامه " بل ظل كذلك بعد اضطراره بأعباء الخلافة، واشتغاله بمهامها، فكان يتمثل بالشعر ويرويه، ويستشده من أصحابه وحفاظه.⁵ وهذا يدل على فهمه للبيان العربي على الصورة التي يكون عليها الفهم، ولعل خير ما يدل على ذلك رأيه الذي أعلنه في الشعر والشعراء قائلاً:

" خير صناعات العرب أبيات يقدمها بين يدي حاجته، يستميل بها الكريم، ويستعطف بها اللئيم.⁶ ويقول في مقام آخر. رضي الله عنه. " مر من قبلك بتعلم الشعر، فإنه يدل على معالي الأخلاق، وصواب الرأي ومعرفة الأنساب."⁷

الخلفاء كغيرهم مارسوا نشاطاً نقدياً، ورأينا أن نبدأ بعمر بن الخطاب الذي أثر وتأثر بالشعر، أحبه وأخلص له، فكان يتخير جيده وينشده، وكانت معرفته بالحياة العربية معرفة دقيقة، ولعل ما حدد اتجاهه النقدي هو تأثره بالمسؤولية الملقاة على عاتقه. من حماية مجتمع كان يسير في طريق الانحراف إلى مجاهدة أعداء هذا الدين، وخوفاً من ذلك جعل من الشعر وسيلة لنشر الإسلام والسلام بين الناس، حيث روى القرشي في جمهرته أن عمر بن الخطاب " قال لابنه عبد الرحمان: أنسب نفسك تصل رحمك وأحفظ محاسن الشعر يحسن أدبك، فإن من لم يحفظ نسبه لم يصل رحمه، ومن لم يؤد حقاً لم يقترف أدبا."⁸

دعا عمر بن الخطاب. رضي الله عنه. إلى رواية الشعر: " ارووا من الشعر أعفوه، ومن الحديث أحسنه، ومن النسيب ما تواصلون عليه، وتعرفون به، فرب رحم مجهولة قد عرفت فوصلت. ومحاسن الشعر تدل على مكارم الأخلاق، وتنتهي عن مساوئها."⁹

إذن عمر . رضي الله عنه . يدعوا إلى الرواية والحفظ، بعدما دعا إلى حفظ القرآن الكريم والعمل به، لأنه وجد فيه المتعة الأدبية إلى جانب متعة النفس. وبذلك فهو حدد المقاييس السالفة الذكر والتي على أساسها فضل شعر حسان بن ثابت الأنصاري، وزهير بن أبي سلمى، لأن شعرهما كان ينبثق من أعماقهما داعيان إلى السلم ولم الشمل في مجتمع سادته الروح القبلية. وقد نقل لنا التاريخ نماذج عن ذلك.

قال عمر . رضي الله عنه . لبعض ولد هرم: " أنشدني في بعض مدح زهير أباك. فأنشدته، فقال عمر: إن كان ليحسن فيكم القول. قال: ونحن والله إن كنا لنحن له العطاء. فقال: قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم.¹⁰

وقال أيضا لابن زهير: " ما فعلت الحلل التي كساها هرم أباك. قال: أبلاها الدهر. قال : ولكن الحلل التي كساها أبوك هرما لم ييلها الدهر.¹¹

لم يقف عمر . رضي الله عنه . عند هذا الحد فحسب حتى دفعته نفسه إلى الإشادة بمدح بعض الأشخاص الذين اتصفوا بالصفات السالفة الذكر كالحارث بن عوف، وهرم بن سنان اللذان دعيا إلى السلام بين قبيلتي عيس وذبيان والمتحاربتين فيما بينهما مدة تزيد عن الأربعين سنة. فمثل هذه الأشعار في نظره هي التي تبقى طوال الدهر والقرون.

كان عمر . رضي الله عنه . يتأثر بالشعر الذي يدخل القلب ويهز النفس، ومن ذلك ما رواه محمد بن سلام الجمحي: حينما قال: كان أمية بن حارثان بن الأشكر قديما، وعمر في الجاهلية دهرا، وألقاه الإسلام هرما، وله شعر في الجاهلية، وشعر في الإسلام، وكان ابنه كلاب وأخوه هاجرا إلى البصرة في خلافة عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . بعدما كبر وكف بصره فقال:

لمن شيخان قد نشدا كلابا كتاب الله إن حفظ الكتابا
إن هتفت حمامة بطن واد على بيضاها ذكر كلابا
تركت أباك مرعشة يداه وأملك ما تسبغ لها شرابا

وقال :

سأستعدي على الفاروق ربا له عمد الحجيج إلى سباق
إن الفاروق لم يردد كلابا على شيخين هامهما رواق

فكتب عمر إلى أبي موسى بإشخاصه، فلم يرع أمية إلا ببابه يقرع، فقال: إن كان كلابا في الناس حيا، إن هو وخطه كلاب بن أمية في بني سليم، يقال لها مربعة كلاب وتقول لها العامة مربعة الكلاب¹²

ومن هذا القبيل ما قاله الخطيئة عندما حبس:

أعوذ بجدك إني امرئ سقتني الأعادي إليك السحالا

لأنك خير من الزريقان أشد نكالا وارحى نوالا

فلم يلتفت إليه عمر، حتى قال أبياته التي أولها:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر

قال: فبكى عندما قال: ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ.

فقال عمر بن العاص: ما أضلت الخضراء ولا أقلت الغبراء، أعدل من رجل يبكي على تركه الخطيئة.¹³

نجد عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . هنا كيف تأثر بالشعر الذي صدر من الخطيئة فيعفو عن الجميع حيث يرد الابن لأبيه والأب لأولاده الصغار لأنه لا يستطيع أن يرى هؤلاء البراء، جيعا حافين، وكاسبهم في سجن الظلمات.

مواقف عمر النقدية:

أ. أخباره مع الشعراء ومن ذلك خبره مع سحيم عبد بني الحسحاس الذي أنشده:

عميرة ودع إن تجهزت غاديا كفي الشيب والإسلام للمرئ ناهيا

فقال عمر: " لو كنت قدمت الإسلام على الشيب لأجزتك." فأحكام عمر . رضي الله عنه .

النقدية تشير إلى أنه كان يقدر الشعر وقيسه بمقياس الرسول . صلى الله عليه وسلم . ومع ذلك نجده يجمع بين القيم الأخلاقية والقيمة الأدبية.

ولما قال:

فبتنا وسادنا إلى علجانة وحقف تهداه الرياح تهدايا

وهبت شمالا آخر الليل بقرّة ولا ثوب إلا درعها وردايا

فما زال بردي طيبا من ثيابها إلى الحول حتى أنهج البرد باليا

فقال له عمر: ويلك إنك مقتول.¹⁴

فهنا يتوعد عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . بالعطاء كلما كان شعر سحيم على هذه الشاكلة، أما إذا خالف القواعد والأصول المرسومة للشعر، يتوعد بالقتل، فالخليفة هنا لم يقتل سحيم كما ورد في بعض الروايات التي أريد بها تشويه صورته الدينية والفنية وإنما تنبأ بمصيره لما في شعره من تعرض للنساء، وكان يفرض في وصف محاسنهن الظاهرة والخفية وكأن شعره سيتسبب في مقتله.

خاصة إذا بقي يتشبب بمن، لأن هذا اللون الأدبي يؤدي إلى إفساد الأخلاق، وانتشار الفساد، وتزيين معصية العبد لخالقه.

خشى عمر . رضي الله عنه . على وحدة العرب وتماسكهم أن تمزقها ثارات الجاهلية، وإحياء الفتن والضغائن، فنهى الناس عن تناشد الشعر المثير للفتن الماضي وهو الذي نهى من قبل ذكر ما بين المسلمين من أهاجي بينهم وبين المشركين دفعا للضغائن. ومن ذلك له خير مع حسان بن ثابت الأنصاري، حيث يروى أن عمر . رضي الله عنه . مر به وهو ينشد بعض أهاجيه في مسجد الرسول . صلى الله عليه وسلم . فأخذ بأذنه وقال: أرغاء كرغاء البعير فقال حسان: دعنا عنك يا عمر، فو الله لتعلم أني كنت أنشد في هذا المسجد من هو خير منك، فلا يغير علي فصدقه عمر.¹⁵ والسؤال المطروح هنا، كيف ينهى عمر حسانا عن إنشاد الشعر، فإذا به أخيرا يصدقه؟ إن الشعور بالمسؤولية، وحماية المجتمع الجديد من الانحراف، أدت به إلى مراقبة الشعر مراقبة صارمة، حتى لا يثير الحمية الجاهلية، ويجدد الضغائن، وهو القائل: "... في ذلك شتم الحي بالميث، وتحديد الضغائن، وقد هدر الله الجاهلية بما جاء في الإسلام."¹⁶ رغم هذا حدث ما كان يتخوف منه عمر . رضي الله عنه . حيث "قدم ضرار بن الخطاب الفهري، وعبد الله بن الزبير المدينة أيام الخليفة عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . فأتيا أبا أحمد بن جحش الأسدي، وكان مكفوفًا فقال له أتيناك لنرسل إلى حسان بن ثابت فنناشده ونذاكره فإنه كان يقول في الإسلام، ونحن نقول في الكفر، فارسل إليه. فجاء، فقال: يا أبا الوليد أخواك تطربا إليك ، ابن الزبيري وضرار يذاكرانك ويناشدانك. قال: نعم. إن شئتما بدأت، وإن شئتما فابدأ. قال: نبدأ، فأنشده حتى صار كالمرجل بفور قعدا على رواحلهما، فخرج حسان حتى لقي عمر بن الخطاب وتمثل بيت ذكره بن جعدية لا أذكره فقال عمر: وما ذاك، فأخبره خبرهما، فقال لا جرم والله لا يفوتانك، فأرسل في إثرهما فردا، وقال لحسان بن ثابت أنشد. فأنشد حسان حاجته، وقال له اكتفيت. قال: نعم. قال: شأنكما الآن، إن شئتما فارحلا، وإن شئتما فأقيما."¹⁷

موقفه من المدح والهجاء: إن رقابة عمر للشعر خوفا من انزلاق الشاعر بدافع الحاجة، فيأتي شعره مخالفا لصفات الممدوح، ومس كرامة المادح، كما كان الشأن مع الأعشى الذي ضرب به المثل حتى قيل أنه كان يتاجر بالشعر نحو البلدان، ونفس الشيء يقال عن الخطيئة، حيث روي أنه مدح أبا موسى الأشعري وقد جمع جيشا للغزو بقصيدة منها:

وجحفل كبهيم الليل منتجع أرض العدو بيؤس بعد أنعام
جمعت من عامر فيه من جشم ومن تميم ومن سام ومن حام

فوصله أبو موسى، فكتب إليه عمر . رضي الله عنه . يلومه على ذلك، فكتب إليه أبو موسى، إني اشتريت عرضي منه بها، فكتب إليه عمر، إن كان هذا هكذا إنما فديت عرضك من لسانه، ولم تعطه للمدح والفخر فقد أحسنت.¹⁸

أما رقابته للهجاء فكانت أشد وأقسى، لأنه ينال من أخلاق الناس وأعراضهم، وقد نقل لنا التاريخ صورتين نقديتين من هذا النوع، استعان فيهما عمر . رضي الله عنه . على بعض الشعراء وكان أكبر حكم آنذاك حسان بن ثابت الأنصاري.

يروى أن النجاشي هجا بني عجلانة، فاستعادوا عليه عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . فقال: ما قال فيكم؟ فأنشده:

قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال عمر: ليت آل الخطاب هكذا قالوا فقد قال أيضا:

ولا يردون الماء إلا عشية وإذا صدر الورد عن كل منهل

فقال عمر: ذلك أقل للكاف. قالوا وقد قال أيضا:

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم وتأكل من كل كعب وعوف ونهشل

فقال عمر: أجن القوم موتاهم فلم يضيعوهم، قالوا: وقد قال أيضا:

وما سمي العجلان إلا لقيلم خذ العقب واحلب أيها العبد واعجل

فقال لعمر: خير القوم خادمهم. (وكلنا عبيد الله) ثم بعث إلى حسان والخطيئة وكان محبوبا عنده. فسألها فقال حسان مثل قوله في شعر الخطيئة، فهدد عمر النجاشي وقال له: إن عدت قطعت لسانك.¹⁹

أو ما أورده أبو الفرج الأصفهاني أنه قال: قيل للزريقان بن بدر، أتى بالخطيئة إلى عمر فقال: إنه هجاني، قال: وما قال لك؟ قال قال لي:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فقال عمر: ما أسمع هجاءا ولكنها معاتبة، فقال الزريقان، أم ما تبلغ مروءتي أن آكل وألبس، فقال عمر: علي بحسان، فجيء به، فسأله، فقال له: لم يهجه ولكن سلح عليه، قال ويقال: إنه سأل ليبيد عن ذلك فقال: ما يسرني أنه لحقني من هذا الشعر، ما لحقه، وأن لي حمر النعم، فأمر به فجعل في نكير (في بئر) ثم ألقى عليه شيء.²⁰

وقد ظل عمر في سجنه المظلم حتي تشفع له عمرو بن العاص، فأطلقه عمر بعد أن اخذ عليه عهدا بترك المقذع من الهجاء.

يظهر لنا عمر في كلتا القصتين بالرجل الذي لم يعرف الشعر أو طرق أبوابه أو أدرك مراميه، فما كان أن استقر الرأي في نفسه حتى أمر بحبس الحطيئة، وهدد النجاشي بقطع لسانه. إذا كانت غاية النقد، الحكم على العمل الأدبي، وأن ما ذهب إليه عمر بن الخطاب. رضي الله عنه. يخالف القواعد المعمول بها، إلا أنه يعد من صميم النقد الموضوعي، ولأن كلماته تعد من صميمه، لأنه كان يبحث عن معاني الأشعار، ثم يحكم عليها.

ب. المفاضلة بين الشعراء: إلى جانب احتكام الخليفة عمر بن الخطاب. رضي الله عنه. إلى الشعراء كان يتجاذب أطراف الحديث مع الجماعات التي تتوافد عليه، خاصة وأنه كان يتميز بذوق فني أدبي كما سلف الذكر. حيث يروى أنه خرج. رضي الله عنه. وببابه وفد غطفان، فقال: أي شعراءكم الذي يقول:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عني خيابة لمبلغك الواشي أغش وأكذب
ولست بمستبق أحدا لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب؟

قالوا: النابغة يا أمير المؤمنين قال: فمن القائل:

خطاطيف حجن في حبال متينه تمد بها أيد إليك نوازع؟
فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

قالوا: النابغة يا أمير المؤمنين قال: فمن القائل:

إلى ابن محرق أعملت نفسي وراحلي قد هدأت عيون
أتيتك عاريا خلقتا ثيابي على خوف تظن بي الظنون
وفألفيت الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون؟

قالوا: النابغة يا أمير المؤمنين قال: فمن القائل:

إلا سليمان إذ قال المليك له قم في البرية فحدودها على القيد

قالوا: النابغة يا أمير المؤمنين قال: هو أشعر شعرائكم²¹

فهو في هذا الموقف نرى نقده خاليا من التعليل والتفسير حيث هذا حذوا الجاهليين في استصدار الأحكام، إذ فضل النابغة على قومه تارة وأخرى على العرب أجمعين، وكل ما ميزه عنهم، أنه لم يخضع ذاتيته أو هواه في أحكامه النقدية.

ومما أثر عنه. رضي الله عنه. أنه حينما ألقى على مسامعه قول زهير بن أبي سلمى:

وإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء

توقف عمر برهة من الزمن ثم ردد البيت كالمتعجب من علمه بالحقوق و تفصيله بينها، و إقامته أقسامها. يقول العسكري: "كان عمر رضي الله عنه يتعجب من صحة هذه القسمة، ويقول: لو أدركت زهيراً لوليتَه القضاء لمعرفته." العسكري: الصناعتين، ص 342. يقصد بهذا التقسيم استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه. و قد عدّه البلاغيون المتأخرون فنا من فنون البديع المعنوي.²² ويدل إعجاب عمر بهذا البيت على ذوقه الأدبي، وعلمه بالعناصر البلاغية التي تكسب الكلام حسناً.²³

كما لا يفوتنا إلى أن نشير إلى أهم خبر نقدي في تاريخ هذا العصر والذي عد بحق البارقة الأولى في النقد الأدبي باعتراف خبراءه وأعلامه، حيث استعانوا بهذا الحكم في أحكامهم، حيث روي في الأغاني "عن ابن عباس، قال: خرجت مع عمر ابن الخطاب . رضي الله عنه . ذات ليلة، فقال لي: يا بن عباس أنشدني لشاعر الشعراء قلت ومن هو يا أمير المؤمنين؟ فقال لي : ابن أبي سلمى. قلت وبما صار كذلك؟ قال: لأنه لا يتبع حوشي الكلام ولا يعاظم في المنطق، ولا يقول ما يعرف، ولا يمدح الرجل إلا بما يكون فيه، أليس الذي يقول:

إذا ابتدرت قيس بن عيلان غاية من المجد من يسبق إليها يسود

سبقت إليها كل طلق مبرز سبوق إلى الغايات غير مزند

كفعل جواد يسبق الخيل عفوه السراع وإن يجهد ويجهدن يبعد

ولو كان محمد يخلد الناس لم تمت ولكن حمد الناس ليس بمخلد

أنشدني له، فأنشدته حتى برق الفجر، فقال حسبك الآن، اقرأ القرآن، قلت وما أقرأ؟ اقرأ الواقعة، فقرأتها ونزل فأذن وصلى.²⁴

وما هذا الخبر إلا دليل قاطع، على ما قيل سابقاً، عن العوامل التي جعلت من عمر . رضي الله عنه . ناقداً ومحبا للشعر، حتى أدخل النقد في ثوب جديد لم يعهده من قبل لأنه أتى بالخصائص والأسباب التي قدم بها شاعره المفضل. تجنب حوشي الكلام، دليل على فصاحة زهير وذوقه الفني فهو يتخير الألفاظ وينقحها حتى يتجنب أكبر عدد من العيوب أما المفاضلة في الكلام وهي: شدة تعليق الشاعر ألفاظ البيت ببعضها البعض.²⁵ لدليل على ابتعاده على التعقد والتوعر.

ويظهر أن هذا حكم عمر هذا يعد من أقدم النصوص التي وصلت إلينا من حيث تفصيل أسباب اختيار الشعر، وجعل الشاعر في الصدارة ، بحيث تعد بارقة في تحديد الموازين السليمة التي يقاس بها الأدب، فقد تناولت هذه النصوص النقدية أهم أركان الشعر المتمثلة في

أساليبه ومعانيه، و ظلت تلك الموازين ردحا من الزمن نواة للنقد الأدبي إن لم نقل حتى وقتنا هذا. وعلى هذا فإن كلمة عمر يمكن أن تعد أول بارقة في النقد الأدبي و أول أساس للنظر في الأدب نظرة موضوعية. ويرى البعض أن هذا النقد ظاهرة لم نألفها من قبل، لاعتمادها على الشرح والتفصيل. و من هنا نستطيع القول بأن عمر واءم بين الشكل و المضمون، لأنه قرر مبدئين هامين في صناعة الشعر:

*الحذق في الصناعة الشعرية، و ذلك يتناول الشكل و التصوير.

*الصدق في الوصف، بحيث لا يجانب المنطق و هذا يتعلق بالمضمون.

إن هذه الالتفاتة النقدية تكفي وحدها على إبطال تلك المزاعم التي تطفئ نور النقد الجاهلي والإسلامي وما اهتمام رجال البلاغة والأدب بهذه العبارة وجعل غرابية الألفاظ والمعاضلة من العوامل التي تفسد الشعر لدليل أيضا وتوكيد على وجود النقد في تلك الفترة، وإن لم يكن علما مستقلا بذاته.

مواقف أبي بكر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم النقدية: ومن المواقف النقدية التي أسهم فيها بقية الخلفاء، موقف أبي بكر النقدي من النابغة الذبياني إذ كان يقدمه على الشعراء الآخرين بسبب كونه أحسنهم شعرا وأعذبهم بحرا، وأبعدهم قعرا، فهو ما فضله وما قدمه إلا بعد أن درس شعره ووازنه مع الشعراء الآخرين، فوجد أن معانيه يستقيهما من معين عذب، بعيد عن العمق والغرابية.

شبيه بهذا الموقف، موقف عثمان بن عفان . رضي الله عنه . عندما أنشد قول زهير:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفي على الناس تعلم

فقال أحسن زهير وصدق، لو أن رجلا دخل بيتا في جوف بيت لتحدث به الناس، قال: وقال النبي . صلى الله عليه وسلم . لا تعمل عملا تكره أن يتحدث عنك به.²⁶

وما كان يصل إلى هذا، لولا أنه دخل التجربة الشعرية وعاش في الجو الذي أراد زهير، فالصدق الذي أعجب به عثمان بن عفان . رضي الله عنه . يبين بوضوح المقياس الذي ارتكز عليه في حكمه على الشعر وهو مقياس الصدق.

وأخيرا يأتي موقف علي بن أبي طالب، الذي يرى أن امرئ القيس ، أشعر الشعراء لأنه لم يقل الشعر لرغبة أو رهبة، ودليله عندما تفحص أعماله الشعرية، وجدها أحسن نادرة وأسبقهم بادرة.

ومن ذلك أيضا يرى أن هذا الشاعر: لا يخضع نفسه لهواها، أو يخاف أو يرغب في شيء ما، وعلي. كرم الله وجهه. هنا هو الآخر تأثر بمقياس الرسول. صلى الله عليه وسلم. بل جاء حكمه معللا ومحللا كعمر بن الخطاب. رضي الله عنه..

دراسة الظروف التي سببت خلق العمل الأدبي، وسيل من وسائل الموازنة والتقويم حتى يومنا هذا. حيث لا يزال العديد من النقاد يعتمدون عليه.

هوامش البحث:

- ¹. عبد العزيز عتيق: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، ط4، 1986، ص: 57.
- ². ولي الدين الخطيب، مشكوة المصاييح: 409، باكستان.
- ³. جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، 1، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1978، ط2. ص: 191.
- ⁴. أبي علي الحسن بن رشيق: العمدة، تح: صلاح الدين المواربي، هدى عودة، ج1، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، لبنان بيروت، 2002، ص: 20.
- ⁵. عبد العزيز عتيق: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، مرجع سابق، ص: 62.
- ⁶. الجاحظ: البيان والتبيين، تح: حسن السندوي، ج2، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط1947، 3، ص: 99.
- ⁷. ابن رشيق: العمدة، ج1، مصدر سابق، ص: 10.
- ⁸. أبو زيد محمد بن الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1984، ص: 35.
- ⁹. المصدر نفسه، ص: 36.
- ¹⁰. أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج10، دار الثقافة، بيروت، 1958، ص: 313.
- ¹¹. المصدر نفسه، ص: 313.
- ¹². محمد بن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، دار الكتب العربية، بيروت، لبنان، 1982، ص: 77-78.
- ¹³. أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج2، مصدر سابق، ص: 156.
- ¹⁴. محمد بن سلام الجمحي: طبقات الشعراء، مصدر سابق، ص: 75-76.
- ¹⁵. أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج4، مصدر سابق، ص: 148.
- ¹⁶. المصدر نفسه، ص: 144.
- ¹⁷. محمد بن سلام الجمحي: طبقات الشعراء، مصدر سابق، ص: 95.
- ¹⁸. أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ج2، مصدر سابق، ص: 175.

¹⁹. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج 1، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، 1966، ص: 330-

331.

²⁰. الأغاني، ج 2، مصدر سابق، ص: 155.

²¹. القرشي: جمهرة أشعار العرب، مصدر سابق، ص 60-61

²². عبد العزيز عتيق: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، مرجع سابق، ص: 80.

²³. المرجع نفسه، ص: 80.

²⁴. أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج: 10، مصدر سابق، ص: 301.

²⁵. عبد العزيز عتيق: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، مرجع سابق، ص: 77.

²⁶. أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج 10، مصدر سابق، ص: 315.